المُعْلَنُ والمُضْمَرُ فِي التَّنْسِيقِ المِصْرِيِّ السُّورِيِّ خِلَالَ حَرْبِ أُكْتُوبَرَ ١٩٧٣ (*)

يحيى حسن حسنى عمر عبد المجيد

باحث دكتوراه

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على التنسيق المصري السوري للقيام بعمل عسكري مشترك واسع النطاق عام ١٩٧٣؛ لتصحيح نتائج حرب عام ١٩٦٧، وتحرير الأراضي التي احتلتها إسرائيل في تلك الحرب.

يرصد البحث الخطوات التمهيدية لهذا التنسيق، ونطاقه، ويوضح أسباب محدوديته، ويوضح الطبيعة الخاصة لكل جبهة من جبهتي القتال، من حيث طبيعة كل طرف من طرفي التنسيق، وأهدافه من المعركة، وطبيعة التحديات الداخلية والخارجية التي تواجهه خلالها، ومن ثَمَّ يرصد البحث ظاهرة تكوُّن أجندة علنية وأخرى خفية عند كل طرف من طرفي التنسيق، نتيجة لأسباب قُطْرِيَّة، وكيف أن كل طرف في النهاية قد أُرْغِمَ على التخلي عن تلك الأجندة الخفية تحت الضغط السياسي من الطرف الآخر، مما أخلَّ بترتيبات الطرفين معًا، وأسهم في نتائج نهائية للحرب أقل بريقًا مما كانت ستؤول إليه الأمور لو قام التنسيق بينهما على أسس أكثر صراحة وشمولًا تُقَدِّمُ البُعْدَ القومي والطموح العسكري على الحذر والرغبة في تحقيق نتائج ذاتية مباشرة.

واعتمد الباحث على شهادات المشاركين الرئيسيين في هذا التنسيق على المستويين السياسي والعسكري عبر مذكراتهم المنشورة، وعلى الموقع الرسمي لوزارة الدفاع السورية، وعلى المراجع العسكرية التي تناولت أبعاد هذا التنسيق بين ما تناولته من الموضوعات

(*)مجلة "المؤرخ المصرى عدد (٥٨) يناير ٢٠٢١.

المتعلقة بحرب عام ١٩٧٣.

وخلص البحث إلى أن التنسيق المصري السوري رغم أنه أدى لنتائج إيجابية مهمة تمثلت في إرغام إسرائيل على الحرب على جبهتين خاصة خلال الأيام الثلاثة الأولى، فإنه افتقر إلى الشمول؛ إذ اقتصر بصفة أساسية على البدء المتزامن للحرب دون أن يتعدى ذلك لمستويات أكثر طموحًا أو تعقيدًا في التنسيق المشترك، كما أنه افتقر للصراحة؛ إذ أخفى كل طرف عن الآخر ترتيبات محددة كان يرمي للوصول إليها تخدم أهدافه القُطْرِية في الحرب، وهذا ما يجب تجنُّبه في أي عمل قومي مشترك في المستقبل؛ إذ أثبت هذا المنحى فشله حتى في تحقيق تلك الأهداف القُطْرِيَّة.

Abstract

This research aims to shed light on the Egyptian-Syrian coordination to carry out a large-scale joint military action in 1973 to correct the results of the 1967 war and to liberate the lands that Israel occupied in that war.

The research monitors the preliminary steps for this coordination, its scope, explains the reasons for its limitations, and explains the special nature of each of the two fighting fronts, in terms of the nature of each side of the coordination, its objectives in the battle, and the nature of the internal and external challenges that it faces through it, and then the research monitors a phenomenon that is an overt agenda and hidden agenda by each side of the coordination, as a result of country reasons, and how each party was ultimately forced to abandon that hidden agenda under political pressure from the other side. This disrupted the arrangements of the two parties together and contributed to the final results of the war that are less glamorous than what would have happened had the coordination between them been based on more explicit and comprehensive grounds, the national dimension and military ambition present caution and the desire to achieve direct self-results.

The researcher relied on the testimonies of the main participants in this coordination at the political and military levels through their published notes, on the official website of the Syrian Ministry of Defense, and on the military references that dealt with the dimensions of this coordination with regard to issues related to the 1973 war.

The research concluded that the Egyptian-Syrian coordination, although it led to important positive results represented in forcing

Israel to war on two fronts, especially during the first three days, lacked comprehensiveness as it was mainly limited to the simultaneous start of the war without going beyond that to more ambitious or complex levels of coordination. The joint, as he lacked frankness, as each party concealed from the other specific arrangements it was aiming to reach that serve its own goals in the war, and this is what must be avoided in any joint national action in the future, as this approach proved its failure even in achieving those country goals.

الدراسات السابقة:

لم يجد الباحث دراسة متكاملة عن التنسيق المصري السوري قبيل وخلال حرب ١٩٧٣، وإنما شذرات متناثرة أكثرها في كتب القادة العسكريين الذين كتبوا مذكراتهم عن حرب أكتوبر، وكذلك دراسة الأستاذ أمين هويدي القيمة (الفرص الضائعة)، وهذه الكتب مذكورة في قائمة المصادر والمراجع.

التمهيد

جاءت نتائج حرب يونيو ١٩٦٧ بمثابة كارثة جماعية على العرب بصفة عامة، وعلى ثلاث دول بصفة خاصة وقعت أجزاءٌ من أراضيها فريسةً للاحتلال الإسرائيلي، وهي: مصر؛ التي فَقَدَتْ سيناء ومعها قطاع غزة الفلسطيني الذي كان تحت إدارتها، وسوريا؛ التي فَقَدَتْ مرتفعات الجولان، والأردن؛ التي فقدت الضفة الغربية الفلسطينية التي كانت تحت إدارتها، بما فيها القدس الشريفة مَحَطّ أنظار المسلمين، فكان هذا المُصَابُ جامعًا للعرب كافةً، وللدول الثلاث بصفة خاصة.

ومن بين الدول الثلاث، بدا أن المصير المشترك لكل من (مصر) و(سوريا) في هذه المسألة واضحًا، حيث كانت للأردن خصوصية تتمثل في هشاشة جبهتها؛ نظرًا لطول تلك الجبهة مع إسرائيل، إذ تمتدُّ لحوالي ٦٠٠ كم، ولعدم وجود أي توازن عسكري في ميزان القوى بين إسرائيل والأردن، مما يؤدي إلى صعوبة تماسُك هذه الجبهة العريضة في أي مواجهة تشترك فيها الأردن، وكذلك للشكوك في التوجهات السياسية للملك حسين ملك الأردن وقتها، مما

يجعل المشاركةَ المباشرة للأردن بمبادرة هجومية في حربٍ – حتى بمساعدة عربية – أمرًا مُعَقَّدَ الحساباتِ.

وإذا أردنا العودة لبدايات الصراع العربي الإسرائيلي العسكري، فقد كانت (مصر) و(سوريا) من بين الدول التي شاركت في الحرب الأولى عام ١٩٤٨، وفي الحرب الثانية، أثناء التآمر الإنجليزي – الفرنسي مع إسرائيل في أعقاب تأميم القناة عام ١٩٥٦، ومع وقوف شعوب العالم العربي والإسلامي والعالم الثالث كله صفًّا واحدًا مع الشعب المصري، فإن الشعب السوري تحديدًا لم يَكْتَفِ بالحماسة التي قاربتْ حماسةَ الشعب المصري؛ بل أخذ بعض الضباط الوطنيين فيه على أنفسهم مهمةَ القيام بخطوات مساعدة على الأرض، كان لها تأثير هائل في مجريات الأزمة؛ إذ قام بعض الضباط الوطنيين بقيادة (عبد الحميد السراج) بنَسْفِ خط أنابيب شركة نفط العراق (IPC) البريطانية، الممتد من كركوك إلى مصفاة بانياس، وهو المصدر الأساسي لإمدادات البترول لبريطانيا، يوم الثاني من نوفمبر ١٩٥٦، أي بعد يومين فقط من العدوان[١]، ولم تكن الدول الغربية وقتها قد أعدَّت نفسها لأزمات البترول وأنشأت المستودعات الكبيرة للتخزين كما تمَّ لاحقًا، وتسبَّب هذا مع إغلاق القناة في انخفاض حاد في قيمة الجنيه الإسترليني[٢]، كما ارتفعت معنويات القوات المُسَلَّحَة والشعب في مصر، وذكر عبد الناصر في إحدى خطبه لاحقًا: "إن الأمة العربية دولة واحدة، وهي كالبنيان يشدُّ بعضُه بعضًا... هنا في بورسعيد تُهَاجِمُنَا القواتُ الغاشمة فتَثُورُ لنا العروبةُ في سورية فتنسف أنابيب البترول"[٣]، وفي اليوم الثاني من نوفمبر نفسه، عند ضَرْبِ مبنى الإذاعة المصرية وتوقُّف البث، قامت الإذاعة في دمشق بإعلان نداء (هنا القاهرة)[٤].

ومنذ ذلك الوقت وحتى وفاة الرئيس عبد الناصر ظلت (المسألة السورية) – إن جاز التعبير – أحد مشاغله واهتماماته الرئيسية؛ فعندها كان مَجْدُهُ الأكبرُ بتحقيق الوحدة، وعندها كان انكسارُه الأول بحدوث الانفصال، وظلت النجمةُ السورية إلى جوار المصرية على العَلَمِ المصري حتى رحيله، كما

ظلت سوريا وِجْهَةً ثابتة في كل المشاريع الوحدوية، من الوحدة الاندماجية عام ١٩٥٨-١٩٦١، إلى مشروع الاتحاد عام ١٩٦٣، ثم إلى اتحاد الجمهوريات العربية عام ١٩٧١، والذي بدأت نواته وترتيباته في حياة الرئيس عبد الناصر، والذي ظل صوريًّا إلى حد كبير، لكن دلالته الرمزية ظلت لها أهميتها ومغزاها للتعبير عن تلك المرحلة.

لقد كان المد الوحدوي في سوريا منذ حرب ١٩٥٦ جارفًا، وتَعَاظَم في العام الذي تلاه؛ حين تفاعَل عبد الناصر مع الخطر الذي يتهدَّد سوريا، والذي تمثَّل في التهديدات التركية، فأرسل قواتٍ بحرية ومظلية إلى ميناء اللاذقية، وشكلت الجماهير ضغوطًا لا تُحتمل، حملت جميع الأطراف – التيارات السياسية المختلفة في سوريا، وعبد الناصر نفسه – على وحدة متعجّلة، لكنها صمدت أمام تناقضات العملية الوحدوية وأخطاء الداخل ومؤامرات الخارج لثلاثة أعوام ونصف(٥).

وبعد انهيار الوحدة، ظلت سوريا شغل عبد الناصر الشاغل مدًّا وجزرًا، وصراعًا ومهادنةً، ورغم الحملات الإعلامية الهائلة بين عبد الناصر ونظام البعث في سوريا – والذي شهد بدوره عدة انقلابات منذ عام ١٩٦٣ إلى عام ١٩٦٦ – فإن عبد الناصر اعتبر أمن سوريا جزءًا من أمن مصر القومي، لذلك عندما تصاعَد التوتر عبر الحدود الإسرائيلية السورية في إبريل ثم مايو عام ١٩٦٧، وجاء يوم ١٣ مايو حين تواترت أنباءٌ رسمية من سوريا ومن الاتحاد السوفييتي عن حشود إسرائيلية كثيفة على الحدود(٦) في استعدادات لحملة تأديبية لكسر الجناح الأكثر تشددًا في حزب البعث الذي استولى على السُّلْطَة عام ١٩٦٦، ورغبة من عبد الناصر في حماية سوريا، ولرغبته كذلك في الرد على مزايدات الأنظمة العربية المعادية للنظام الناصري، فقد أصدر قراره بحشد القوات في سيناء(٧)، ثم طلب سحبَ قوات الطوارئ الدولية جزئيًّا، فلما رُفِضَ الطَّلَبُ طَلَبَ سحبَها كُلِّيَّةً(٨)، ثم قام بإغلاق مضيق تيران في وجه الملاحة الإسرائيلية، وتداعت الأحداث حتى قيام حرب يونيو.

العلاقة بين الجبهتين من يونيو ١٩٦٧ حتى أكتوبر ١٩٧٣

بعد أن أفاقت القيادة السياسية في مصر من ضربة يونيو عام ١٩٦٧، وجدتْ أن هناك بعض الألغاز والأسئلة غير المريحة المتعلقة بالجبهة السورية، ذلك أن تقارير المخابرات العسكرية المصرية بادرت مع تصاعد أنباء الحشود الإسرائيلية على الجبهة السورية إلى دراسة تلك المعلومات، وتبيَّن لها عدم صحتها، وأبلغت بذلك القيادتين السياسية والعسكرية في مصر(٩)، وعلى أثر ذلك، ورغبةً في حسم الأمر والتأكد، قام الرئيس عبد الناصر بإيفاد رئيس الأركان المصري الفريق محمد فوزي – الذي زار الجبهة السورية يوم ١٤ مايو ١٩٦٧ – ليقف بنفسه على خطورة الموقف، واطَّلع كذلك على صور الاستطلاع الجوي، ورَصَدَ أن ما يقال عن الحشود الإسرائيلية مبالَغٌ فيه وغيرُ دقيق(١٠)، ثم جاءت وقائع الحرب مصدِّقة لذلك، فالقوات الإسرائيلية التي دخلت سيناء يوم ٥ يونيو، ثم دخلت الضفة والقدس يوم ٧ يونيو، لم تقتربْ من الحدود السورية حتى نهاية يوم ٨ يونيو، ثم تغيَّر الموقف بعدما رصدت القوات الإسرائيلية عمليات إخلاء سورية من الجولان، فبدأ الدخول الإسرائيلي للجولان يوم ٩ يونيو، وخلال ساعات كانت الإذاعة السورية تعلن سقوط القنيطرة(١١).

وطرح هذا عدة أسئلة:

- إذا كانت الحرب منذ البداية من أجل التضامن المصري مع سوريا، فلماذا لم تدخل القوات السورية الحرب عندما هُوجِمَت الأراضي المصرية ثم الأردنية/الفلسطينية؟(١٢).
- لماذا كانت الانسحابات داخل الأراضي السورية قبل وقوع المعارك، ورغم تحصيناتها المنيعة التي أُنْفِقَ عليها الكثيرُ خلال السنوات السابقة؟(١٣).
- لماذا التعجُّل في إعلان سقوط القنيطرة؟

ورغم أن تلك الأسئلة وغيرها كانت تَشِي بأن مصر ربما تكون قد وقعت فريسةً لعملية استدراجٍ (لم يكن الطرف الأساسي فيها هو إسرائيل؛ وإنما

النظام الراديكالي في سوريا، الذي أراد جَرَّ مصر عُنْوَةً للحرب؛ ظنًّا منه أن النتائج ستكون نصرًا عربيًّا مُنْتَظَرًا، وهو ما أشار الأستاذ هيكل إليه مَرَّةً، موضحًا أن عناصر في النظام السوري في ذلك الوقت تَعَمَّدَتْ تَوْرِيطَ مصر في الحرب، وأن قيادات فلسطينية شاركت في ذلك رغبةً في جَرِّ مصر إلى تَدَخُّلٍ فوري في المسألة الفلسطينية(١٤)، بينما يرى د. عبد العظيم رمضان أن هذا الخداع التوريطي كان أساسًا من فعل الاتحاد السوفييتي(١٥)، فإن عبد الناصر لم يتخلَّ عن الجبهة السورية، وحاول دومًا إنشاء (جبهة شرقية) قوية، قوامها القوات السورية والعراقية، لذلك بَذَلَ في ذلك جهدًا كبيرًا، اعتبرَه هيكل (معركته الأخيرة)(١٦).

وبعد وفاة عبد الناصر – ورغم أن الشغل الشاغل الرئيسي للقيادة السياسية المصرية كان الاستعدادات المصرية للمعركة – فإن التنسيق مع سوريا لم يتوقف؛ فبعد وفاة عبد الناصر بحوالي شهر ارتقى الفريق حافظ الأسد لسدة الحكم في سوريا، وكانت العلاقات بينه وبين الرئيس السادات جيدة، وتحرَّك مرة أخرى المشروع الوحدوي المسمَّى (اتحاد الجمهوريات العربية)، ويذكر هيكل أنه بينما كان يتشكَّك في حافظ الأسد؛ كونه بعثيًّا، فإن السادات كان يردُّ بأن حافظ الأسد مختلف، وأنه يثق به(١٧).

وفي عام ١٩٧٢ بدأت تتبلور فكرة الهجوم على الجبهتين المصرية والسورية في آنٍ واحد، وذلك لتشتيت الجهد الحربي الإسرائيلي، ومضاعفة عنصر المفاجأة، وإحداث إرباك استراتيجي ومعنوي وسياسي، وظهرت إشارات علنية في هذا الشأن؛ فكتب الأستاذ هيكل أن الحل الأمثل هو أن نُحَارِبَ إسرائيل بأسلوب المِطْرَقَة والسندان، فالسندان يتمثل في جبهة مصرية صلبة قادرة على الضغط المتواصل، والمِطْرَقَة تتمثَّل في ضربات من الشرق والشمال في نفس الوقت بحيث تُرْغِمُ العدوَّ على توزيع قواته واهتماماته(١٨).

أوجُه التشابه والاختلاف بين الجبهتين المصرية والسورية قبيل حرب ١٩٧٣

في إطار المنهج المقارن لدراسة حالة بدء وتطوُّر عمليات حرب أكتوبر ١٩٧٣ على كلٍّ من الجبهتين المصرية والسورية، والتي ستفسر إلى حد كبير دوافع الطرفين في خفض مستوى التنسيق بينهما، يمكننا أن نرصد ما يلي من أوجه التشابه والاختلاف؛ حيث نجد أن المشترك الأكبر هو الدافع لتحرير الأرض المحتلة عند كلا الطرفين، ومحو عار الهزيمة، والمشترك الآخر هو العدو الإسرائيلي بنفس أسلحته القتالية ونفس قيادته السياسية والعسكرية العامة، والمشترك الثالث هو العلاقة الجيدة التي تربط بين الرئيسين، واشتراكهما في التوجُّه القومي العام (المُعْلَن)، واشتراكهما في القوى العظمى الحليفة سياسيًّا وعسكريًّا، وهي الاتحاد السوفييتي، واشتراكهما (المُعْلَن) في العداء السياسي للولايات المتحدة الأمريكية.

بينما توجد أوجه اختلاف أثَّرت إلى حدٍّ كبير في توجيه مسار كلٍّ من الجبهتين؛ فالجبهة السورية قريبة من المراكز الحضرية المهمة في إسرائيل، حيث تُشرف مرتفعات الجولان على سهول الجليل مباشرة، مقارنةً بالجبهة المصرية؛ حيث تفصل بينها وبين المراكز الحضرية الكبرى في إسرائيل كامل سيناء ثم صحراء النقب، ولذلك فإن معظم مدن إسرائيل في مجال القصف الجوي السوري، عكس الحالة المصرية، كذلك فإن محدودية القوات المصرية في الحركة خلف حائط الصواريخ يمكِّن القيادة الإسرائيلية من الحصول على وقت لجعلها جبهة ثانية مقارنةً بالجبهة السورية، كل هذا يحتِّم على القيادة الإسرائيلية إعطاء الأولوية بصورة فورية للجبهة السورية في أي هجوم مصري سوري مشترك، وبالتالي كان معلومًا لدى القيادتين المصرية والسورية أن الجهد الحربي الإسرائيلي عند رد الفعل بعد المفاجأة لن يكون موزَّعًا بالتساوي بين الجبهتين؛ وإنما سيكون مركَّزًا على الجبهة السورية.

وعلى الجانب الآخر، كانت حركة التقدُّم في الجولان أمام القوات السورية تخلو من الموانع الطبيعية والصناعية المباشرة؛ فقد كان هناك على الجانب الإسرائيلي خط دفاعي ضعيف أُطلق عليه (خط آلون)، يحتوي خندقًا

دفاعيًّا لإعاقة تقدُّم الدبابات، طوله ١٥ كم، وعرضه أربعة أمتار، وعمقه ثلاثة أمتار[١٩]، ويحتاج لبعض ساعات من عمل الفرق الهندسية لاجتيازه، ومن ثَمَّ كان في تقديرات القيادة السورية أنه إذا تأخَّر استدعاءُ قوت الاحتياط الإسرائيلية لمدة ٣٦ ساعة من ساعة الصفر فإن هذه المدة تكفي لأن تتمكن القوات السورية من تحرير كامل الجولان، بينما على الجانب المصري هناك مانع قناة السويس، ومن ورائه الساتر الترابي، وتَعْلُوهُ ثلاثون نقطة حصينة، ثم اجتياز القناة بالمشاة، ثم عمل فتحات في الساتر الترابي، ثم نَصْب الكباري عليها، مع اقتحام النقاط الحصينة، ثم إنشاء رءوس الكباري بفِرَقِ المشاة عبر جبهة عريضة تمتد لحوالي ١٦٠ كم، كل ذلك كان يحتاج لعدة أيام في تقدير القيادة العسكرية، ربما أربعة أو خمسة أيام – على أفضل الفروض – حتى تتماسك رءوس الكباري وتلتحم في لحمة واحدة ممتدة عبر الجبهة لعمق حماية حائط الصواريخ، ثم بعد ذلك تقوم الخطة المصرية على التمسك بهذا القطاع وإجبار إسرائيل على حرب استنزاف تُبقي قواتِها تحت التعبئة، وهذا مما لا تتحمله إسرائيل، وعلى هذا كانت مقتضيات وضع الجبهة السورية أن تكون الحربُ حربَ (تحرير) سريعة، بينما على الجبهة المصرية تكون الحربُ حربَ (تحريك) ثم استنزاف طويل[٢٠].

كذلك من أوجه الاختلاف بين الدولتين طبيعة النظام في كلٍّ منهما، ودرجة الضغوط عليه؛ فطبيعة النظام المصري في طليعة الوطن العربي وتَصَدُّره للمشهد السياسي والعسكري حمَّله المسئولية الأولى في مَحْوِ عار هزيمة ١٩٦٧؛ فقد اعتبر الداخلُ والخارج – تقريبًا – أن مصر هي التي انهزمت، وأن مصر هي التي عليها أن تستعيد الأرض، لذلك كانت الضغوط الداخلية والخارجية على النظام المصري هائلة، ولم تكن الضغوط على النظام السوري بصفة مماثلة، إلا ما يكون من مزايداتٍ بينه وبين قرينه النظام البعثي العراقي، وهذا كان يحتِّم على النظام المصري أن يدخل حرب تحرير الأرض ولو منفردًا[٢١]، فكان عليه – والحال هكذا – أن يكون هو الساعي إلى إقناع

النظام السوري بالحرب المشتركة، واعطائه مزيدًا من التطمينات، فكانت هناك الخطة (جرانيت ٢) التي عُرِضَتْ على القيادة السورية، وتوضِّح أن القوات المصرية سوف تتقدم إلى الممرات بعد وقفة تعبوية حال انتهاء المرحلة الأولى المدروسة بدقة (جرانيت ١)، وفهمت القيادة السورية أن تلك الوقفة قد تكون يومًا أو يومين، بينما كانت بالنسبة للقيادة المصرية خطة عامة طويلة الأمد مرتبطة بوصول صواريخ دفاع جوي متحركة تسمح للقوات بتجاوز مدى حائط الصواريخ الحالي[٢٢].

ومن الاختلافات أيضًا مدى التحالُف مع القوى العظمى الحليفة لكلا الدولتين، وهي الاتحاد السوفييتي؛ فبينما كان النظام السوري البعثي حليفًا خالصًا للاتحاد السوفييتي، وتوجُّهه اليساري لا شك فيه، ولم تشهد علاقته به أزمات واضحة، فإن الغموض كان يَكْتَنِفُ شخصية الرئيس أنور السادات، خاصة بعد إطاحته بالمجموعة اليسارية المُقَرَّبَة من الاتحاد السوفييتي في مايو ١٩٧١، ثم تدخُّله لوَأْدِ الانقلاب الشيوعي في السودان عام ١٩٧١[٢٣]، ورغم توقيع اتفاقية التعاون مع الاتحاد السوفييتي في العام ذاته، فإن تَلَكُّؤ الاتحاد السوفييتي في توريدات السلاح إلى مصر – مما أَجَّلَ فرص الحل العسكري – دفع بالرئيس السادات إلى عدة زيارات غاضبة، ثم إلى قراراه الحاسم بإنهاء عمل الخبراء السوفييت في مصر في يوليو ١٩٧٢، والذي كان بمثابة ضربة كبرى للهيبة السوفييتية كقوة عظمى في المنطقة[٢٤]، كما بدأت الأخبار تتتابع عن محاولات الرئيس المصرية لإجراء اتصالات غير مباشرة مع الولايات المتحدة، وهو ما ظهر حتى في الصحف المصرية شبه الرسمية[٢٥]، وبالتالي كان التزام الاتحاد السوفييتي السياسي والعسكري تجاه سوريا أقوى وأصرح.

الظاهر والخفي في التنسيق المصري السوري قبل الحرب

بدأت الخطوات العملية للتنسيق المصري السوري المشترك من أجل المعركة في أوائل يناير ١٩٧٣، بعد حوالي شهر ونصف من تعيين الفريق أول

أحمد إسماعيل وزيرًا للحربية، وذلك حين قرَّر مجلس اتحاد الجمهوريات العربية تعيينه قائدًا عامًّا للقوات المسلحة الاتحادية، فكَلَّفَ هيئة عمليات القيادة العامة الاتحادية بإجراء دراسات تنسيق الهجوم المشترك، بحيث تشمل القوات المشتركة لمصر وسوريا، وكذلك حصر القوات المطلوبة من دول النطاق الثاني[٢٦]،[٢٧].

وخلال شهري مارس وإبريل تصاعدت وتيرة أعمال التنسيق بين الجبهتين، بإشراف الفريق أول أحمد إسماعيل، فتم الانتهاء من تخطيط الأهداف المطلوب استهدافها للضربة الجوية المتزامنة على الجبهتين في التوقيت نفسه، وخلال الشهرين التاليين صدرت التوجيهات الاستراتيجية للحرب، ولم يتبقَّ إلا تحديد موعد بدء العمليات، ولذلك حضر إلى مصر وفدٌ من كبار القادة السوريين في ٢١ أغسطس، برئاسة اللواء مصطفى طلاس القائد العام للقوات المسلحة السورية ووزير الدفاع، ومعه اللواء يوسف شكور رئيس الأركان، حيث اجتمع الوفد مع الفريق أول أحمد إسماعيل، ومع اللواء سعد الدين الشاذلي رئيس الأركان، واللواء عبد الغني الجمسي رئيس العمليات، واللواء حسني مبارك قائد القوات الجوية، واللواء فؤاد ذكري قائد القوات البحرية، واللواء محمد علي فهمي قائد قوات الدفاع الجوي، واللواء فؤاد نصار مدير المخابرات الحربية، وقد انتهى الاجتماع إلى وضع اقتراحين لتوقيت بدء العمليات، وهما (٧ إلى ١١ سبتمبر ١٩٧٣)، و(٥ إلى ١٠ أكتوبر ١٩٧٣)، وتُرِكَ للقيادة السياسية في البلدين الاتفاقُ على الأنسب منهما، ولمَّا استقر الأمر لاحقًا على يوم الهجوم، كان الخلاف الشهير حول ساعة الهجوم، حيث كان الوقت المناسب لهجوم السوريين هو الصباح؛ حيث تكون الشمس في أعين الإسرائيليين، فضلًا عن إعطاء متسع من الوقت لتنفيذ العمليات، بينما كان الأنسب للمصريين الهجوم عند العصر؛ حيث تكون الشمس في أعين الإسرائيليين، ويبدأ نَصْبُ الكباري ليلًا، حتى وصل الأمر إلى أن خرج مُقْتَرَحٌ بأن يبدأ الهجوم المصري عصر يوم السادس من أكتوبر، على أن يبدأ الهجوم

السوري قُبَيْلَ شروق اليوم التالي، لكن السوريين رفضوا المقترح سياسيًّا؛ حتى لا يكونوا متأخرين عن المصريين(٢٨).

ومن هذا يتضح لنا الآن أن التنسيق انصبَّ على تحديد يوم الهجوم المشترك ثم ساعته، دون أن يتحوَّل إلى تنسيق عام بين الجبهتين يواكب تطورات الحرب؛ فالمشير الجمسي أَفْرَدَ صفحاتٍ لشرح كيفية تحديد يوم الهجوم وساعته(٢٩)، وكذلك في العديد من المصادر والمراجع التي تناولت الاستعدادات للحرب(٣٠)، بينما دَلَّ الصمت عمَّا عدا ذلك وعدم ذكر تفاصيل أخرى عن تنسيق الجبهتين أن الاهتمام من الطرفين انصبَّ على استخدام الهجوم المتزامن في زَعْزَعَةِ العدو الإسرائيلي، دون الطموح في درجات أعلى من التنسيق على مستوى الجبهتين.

وكان يجب ألَّا يقتصر التنسيق المصري السوري على لحظة البداية، وأن تكون هناك خطة مبدئية متكاملة على مستوى الجبهتين تَضْمَنُ تحقيقَ أفضل الأهداف الممكنة للحرب في إطار قومي، وهي القدرة على الضغط على إسرائيل للانسحاب من أكبر قَدْرٍ ممكن من الأراضي التي احتلَّتها في حرب يونيو، وهو ما أُطْلِقَ عليه (إزالة آثار العدوان)، وهو ما قَرَّرَه ووضع خطوطه العريضة التقريرُ المصري الذي قدمه الفريق أول أحمد إسماعيل إلى اجتماع مجلس الدفاع المشترك، وهو جهاز يضمُّ وزراءَ الدفاع والخارجية العرب، في اجتماعه من ٢٧–٣٠ يناير ١٩٧٣(٣١)، إلا أن وقائع الحرب أثبتتْ محدودية هذا التنسيق واقتصاره على ما سبق، ويرى الباحث أن السبب الرئيس وراء هذا – كما سيتبين خلال هذا البحث – هو وجود أجندة وأهداف وطنية (قُطْرِيَّة) مُلِحَّة لكل طرف جعلها نصب عينيه في المقام الأول قبل تحقيق الهدف القومي العام، وظَنَّ أن ذلك يدور في إطار الهدف القومي ولا يتعارض معه.

وقد عَبَّرَ أمين هويدي وزير الحربية ومدير المخابرات الأسبق وصاحب المؤلفات في الاستراتيجية وإدارة الصراعات، عن حقيقة محدودية التنسيق المشترك قبل الحرب واقتصاره فعليًّا على تحديد موعد لهجوم متزامن، وذلك من

خلال عنوان لاذع هو (هل حقيقةً كانت هناك حرب على جبهتين؟)، ويستطرد تحت هذا العنوان فيقول: "ليس معنى الحرب على جبهتين بداية إطلاق النار فيهما في وقت واحد فقط، فإن هذا ليس ضروريًّا؛ فقد يرى المخطِّطون لمثل هذه العمليات بداية الحرب بجبهة واحدة يليها فتحُ الجبهة الثانية في المكان والوقت المناسبَيْن، والغرض الحقيقي هو أخذ المبادأة دون تسليمها بالعمل بجسارة في كلا الجبهتين لتشتيت قوات العدو وتفتيتها ووضعه دائمًا في مواقف متجددة ليست في صالحه... لكن يبدو أن المشكلة الحقيقية التي كان يدور حولها البحث هي توقيت بداية الحرب؛ لأن أحدًا ممن كتبوا عن هذه الاجتماعات لم يذكرْ لنا خطط العمليات على الجبهتين والتناغم بينهما، وقد يقال إنه قد تم الاتفاق على أن تبدأ الجبهتان القتال في الساعة الثانية ظهرًا يوم ٦ أكتوبر، وتُتْرَكُ بعد ذلك حرية العمل لقائدي الجبهتين، وربما يكون هذا هو ما حدث بالضبط، وهذا خطأ جسيم"[٣٢].

وقد ذاع في الأوساط العسكرية والسياسية العربية عقب حرب أكتوبر أن النظام السوري حَنَقَ على نظام الحكم في مصر للتباطؤ في تطوير الهجوم لعدة أيام من يوم ١٠ أكتوبر إلى يوم ١٤، فيما سُمِّيَ بالوقفة التعبوية[٣٣]، والحقيقة أقرب ما تكون إلى ما ذَكَرَهُ الفريق الشاذلي؛ إذ إن الخطة الأساسية للعبور – التي كانت تُسَمَّى (جرانيت ١)، وتطورت إلى المآذن العالية – كانت خطة تفصيلية تنتهي بالوقوف عند عمق ١٠–١٥ كم في سيناء، وهو غطاء حائط الصواريخ، وأن أي حديث عن تطوير الهجوم خارج هذا الحائط هو حديث غير علمي طالما لم تتوفرْ صواريخ الدفاع الجوي المتنقلة التي يمكن أن تشكِّل منظومة تحمي القوات أثناء التقدم خارج مظلة حائط الصواريخ الحالي الثابت في دُشمة غرب القناة، الذي لا يمكن تحريكه مع القوات[٣٤]، وبالتالي يمكن أن نقول إنه بالفعل كانت الأجندة المصرية هي التقدُّم حتى حدود حائط الصواريخ[٣٥]، وأنه مع يوم ١٣ أكتوبر، وتحت الضغوط السياسية السورية والعربية التي لا تُحتمل، قَرَّرَ الرئيس السادات تطويرَ الهجوم في اليوم التالي،

فأصبحت القوات المدرعة المصرية خارج نطاق الدفاع الجوي صيدًا سهلًا للقوات الجوية الإسرائيلية، وتكبدتْ خسائر فادحة.

ولكن على الجاب الآخر – الذي لم يجد حظه من النشر الواسع – فإن القيادة السورية بدورها كانت لها أجندة خفية هي الأخرى أكثر ضِيقًا من الأجندة المصرية؛ ذلك أن القيادة السورية قَدَّرَتْ – كما سبق – أنه يمكن لها بهجوم واحد حاد ومركَّز – وتحت تأثير المفاجأة التي قد تشلُّ فكرَ القيادة الإسرائيلية وتؤخر استدعاء الاحتياطي – أن تجتاح وتحرِّر كامل مرتفعات الجولان خلال ٣٦ ساعة، أي بنهاية يوم ٧ أكتوبر، وقبل أن تدفع إسرائيل بقوات الاحتياطي إلى المعركة، وبعدها سيكون الضغط الإسرائيلي على الجبهة السورية كبيرًا؛ لأنها الجبهة ذات الأولوية كما سبق ذكره، وبالتالي فوفقًا لهذه التقديرات فإن الأنسب للقيادة السورية أن يقرِّر مجلس الأمن وقف إطلاق النار، وأن تسعى الدول الكبرى إلى تحقيقه بعد يوم واحد فقط من المعارك، وعلى هذا سعى النظام السوري – خُفْيَةً وبالتنسيق مع موسكو – لطلب وقف إطلاق النار في اليوم التالي، فإذا تم تنفيذه مع مساء يوم ٧ أكتوبر فستكون سوريا قد حققت أهدافها من الحرب، ونجت في الوقت ذاته من أغلب ردود الفعل العسكرية الإسرائيلية، وفازت بمرتفعات الجولان[٣٦]، بينما لم يكن الجانب المصري يعرف شيئًا مطلقًا على هذه الترتيبات المرفوضة تمامًا من جانبه؛ حيث إنها – كما ذُكِرَ – لا تتناسب مع احتياجه لأربعة أيام أو خمسة حتى تلتحم الفرق المصرية التي عبرت القناة في رأس جسر واحد بعمق ١٢ كم، بينما لو تمَّ وقفُ إطلاق النار في نهاية يوم ٧ أكتوبر فستكون الجبهة المصرية هشَّة، حتى إن بعض النقاط الحصينة لخط بارليف لم تكن قد سقطت بعد، كذلك فإن بعض المواقع المهمة لم تكن في حوزة القوات المصرية، مثل مدينة (القنطرة شرق) ذات الأهمية المعنوية، والتي اكتمل تحريرها في اليوم التالي، ولعل تقدير القيادة السورية وقتها أنها بينما ستستطيع الحصول على الجولان في الست وثلاثين ساعة الأولى، فإن الهجوم المصري عَبْرَ القناة ربما يتعرَّض لخسائر مرتفعة

كما توقعتها الأوساط السوفييتية، مما قد يضطر الرئيس السادات إلى مجاراة الطلب السوري بوقف إطلاق النار المبكر[٣٧].

لكن الهجوم المصري خالف التوقعات السوفييتية، وكان ناجحًا تمامًا وبخسائر أقل بكثير مما توقعها السوفييت، لذلك فوجئ الرئيس السادات تمامًا عندما أخبره السفير السوفييتي في مساء اليوم الأول للمعارك بأن الرئيس السوري قد طلب وقف إطلاق النار، وذُهِلَ الرئيس السادات لأن الموقف على الجبهة السورية في ذلك اليوم كان يسير بطريقة جيدة، ولم يكن هناك ما يدعو لهذا الطلب[٣٨]، وقام السادات بالاتصال بالرئيس حافظ الأسد، الذي اضطرَّ إلى نفي تقديمه لهذا الطلب[٣٩]، على أن السفير السوفييتي طلب من الرئيس السادات مقابلة عاجلة أخرى في اليوم التالي ٧ أكتوبر؛ ليبلغه بأنه قد وصلته رسالة ثانية من القيادة السوفيتية بطلب من سوريا للمرة الثانية للسعي لوقف إطلاق النار[٤٠]، ويحاول الكاتب البريطاني باتريك سيل، كاتب السيرة الذاتية للرئيس حافظ الأسد، تبريرَ موقفه بقوله إن هذه المبادرة إلى وقف إطلاق النار ربما جاءت من الاتحاد السوفييتي؛ خشيةً على الأنظمة الحليفة لها من الهزيمة العسكرية[٤١]، على أنه من المستبعَد أن يقوم الاتحاد السوفييتي بإخبار السادات عن طلب الرئيس الأسد دون أن يكون قد طلبه بالفعل، وحتى بهذا الفرض فهو يدلُّ على أن الاتحاد السوفييتي أراد للأمور أن تسير في مجرى الأجندة التي تخدم الجبهة التي يتبناها ويتبنى نظامها وهي الجبهة السورية، ففي كل الأحوال من المؤكد أن هذا كان توجُّهَ الجبهة السياسية السورية/السوفيتية، لخدمة الأجندة القُطْرِيَّة السورية.

وإلى هذا الرأي يذهب (وليام كواندت)، أستاذ العلوم السياسية بجامعة فرجينيا، فيقول: "أعتقد أن الاستراتيجية العسكرية الوحيدة القابلة للتطبيق بالنسبة للسوريين كانت هي الاستيلاء السريع على الأراضي، ومن ثَمَّ التوقف؛ لأنهم لم يكن لديهم فرصة لهزيمة إسرائيل بمفردهم، لهذا فإن وقف إطلاق النار المبكر كان جزءًا من خطتهم، لكنه لم يكن جزءً من خطة السادات"[٤٢].

وهكذا، فرغم التنسيق العام لكلا الجبهتين، الذي تمحور حول مبدأ الهجوم المشترك والمتزامن لإيقاع أقصى ارتباك للقيادة الإسرائيلية وإجبارها على العمل في جبهتين متباعدتين، فإنه كان لكل طرف أجندة وطنية قُطْرِيَّة خفية عن الطرف الآخر يعمل على تحقيقها.

وقائع القتال على الجبهة المصرية خلال الأيام الثلاثة الأولى

يوم ٦ أكتوبر

في تمام الساعة ٢:٠٥ مساءً (١٤:٠٥) من يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ نَفَّذَ أكثر من ٢٠٠ طائرة حربية مصرية ضربة جوية على الأهداف الإسرائيلية بالضفة الشرقية للقناة، وعَبَرَت الطائرات على ارتفاعات منخفضة للغاية؛ لتفادي الرادارات الإسرائيلية، واستهدفت المطارات ومراكز القيادة ومحطات الرادار والإعاقة الإلكترونية وبطاريات الدفاع الجوي وتجمعات الأفراد والمدرعات والدبابات والمدفعية ومصافي البترول ومخازن الذخيرة في سيناء، كما استهدفت النقاط الحصينة في خط بارليف[٤٣].

بعد عبور الطائرات المصرية بخمس دقائق، بدأت المدفعية المصرية قصف التحصينات والأهداف الإسرائيلية الواقعة شرق القناة بشكل مكثف تحضيرًا لعبور المشاة، فيما تسللت من قبلها عناصر سلاح المهندسين والصاعقة إلى الشاطئ الشرقي للقناة لإغلاق الأنابيب التي تنقل السائل المشتعل إلى سطح القناة، في تمام الساعة ١٤:٢٠ توقفت المدفعية (ذات خط المرور العالي) عن قصف النسق الأمامي لخط بارليف ونقلت نيرانها إلى العمق حيث مواقع النسق الثاني، وقامت المدفعية (ذات خط المرور المسطح) بالضرب المباشر على مواقع خط بارليف لتأمين عبور المشاة من نيرانها[٤٤].

وفي تمام الساعة ١٨:٣٠ كان ٢،٠٠٠ ضابط و٣٠،٠٠٠ جندي من خمس فرق مشاة قد عبروا القناة، واحتفظوا بخمسة رءوس للكباري، وفُتحت أول

ثغرة في الساتر الترابي، واستمر سلاح المهندسين في فتح الثغرات في الساتر الترابي لإتمام مرور الدبابات والمركبات البرية، وذلك ما عدا لواءً برمائيًّا مكونًا من ٢٠ دبابة برمائية و ٨٠ مركبة برمائية عبر البحيرات المرة في قطاع الجيش الثالث، حيث بدأ يتعامل مع القوات الإسرائيلية، وفي تمام الساعة ٢٠:٣٠ اكتمل بناء أول كوبري ثقيل، وفي تمام الساعة ٢٢:٣٠ اكتمل بناء سبع كَبَارٍ أخرى، وبدأت الدبابات والأسلحة الثقيلة تتدفق نحو الشرق مستخدِمة الكباري السبعة و ٣١ معدية[٤٥].

يوم ٧ أكتوبر

أتمَّت القوات المصرية في الصباح عبورها لقناة السويس، وأصبح لدى القيادة العامة المصرية خمس فرق مشاة بكامل أسلحتها الثقيلة في الضفة الشرقية للقناة، بالإضافة إلى ١٠٠٠ دبابة، وتهاوَى خط بارليف الدفاعي، وخلال هذا اليوم واصلت القوات المصرية توسيع رءوس كباري فرق المشاة، وسد الثغرات بينها وبين الفرق المجاورة داخل كل جيش، فيما قامت القوات الخاصة وقوات الصاعقة بتنفيذ ضرباتها المحمولة جوًّا على مؤخرة القوات الإسرائيلية، مما أرغمه على التحرك ببطء وحذر، وفي أثناء ذلك دعمت القوات الإسرائيلية موقفها على الجبهة، ودفعت بخمسة أَلْوِيَةٍ مدرعة لتعويض خسائر الألوية المدرعة الثلاثة التي كانت متمركزة بالمنطقة[٤٦].

يوم ٨ أكتوبر

بحلول يوم ٨ أكتوبر اندمجت رءوس كباري الفرق الخمسة في رأس كوبريين في جيشين، وامتد رأس كوبري الجيش الثاني من القنطرة شمالًا إلى الدفرسوار جنوبًا، ورأس كوبري الجيش الثالث من البحيرات المرة شمالًا إلى بورتوفيق جنوبًا، وكان رأس كوبري كل جيش يصل إلى عمق حوالي ١٠ كم، وظلت هناك ثغرة بين رأسي كوبري الجيشين بطول ٣٠-٤٠ كم، وهي منطقة خارج نطاق مظلة الدفاع الجوي المصري، ولذلك كان التحرك داخلها محدودًا[٤٧].

حشدت القيادة الإسرائيلية في يوم ٨ أكتوبر ثمانية ألوية مدرعة منظمة في ثلاث فرق، فكان هناك فرقتان من ثلاثة ألوية مدرعة، الأولى في القطاع الشمالي بقيادة الجنرال برن أدان، والثانية في القطاع الأوسط بقيادة الجنرال أرئيل شارون، أما الفرقة الثالثة فمشكَّلة من لواءين مدرعين في القطاع الجنوبي بقيادة الجنرال ألبرت ماندلر[٤٨].

وفي هذا اليوم كان حجم القوات المصرية والإسرائيلية يكاد يكون متساويًا من حيث العدد، حيث كان لدى القيادة الإسرائيلية ٩٦٠ دبابة، في حين كان لدى القيادة المصرية ١٠٠٠ دبابة، غير أن التفوق النوعي كان في صالح الدبابات الإسرائيلية؛ حيث تميزت بأن جميع مدافعها عيار ١٠٥ ملم، ومجهَّزة بوسائل تقدير المسافة والتسديد[٤٩].

مع إطلالة صباح يوم ٨ أكتوبر، نفَّذَت القوات الإسرائيلية هجومها المضاد في عدة اتجاهات؛ فهاجمت الفرقة ١٨ مشاة، بقيادة فؤاد عزيز، بلواء مدرع في اتجاه القنطرة، والفرقة الثانية مشاة، بقيادة حسن أبو سعدة، بلواء مدرع آخر في اتجاه الفردان، وصدَّت القوات المصرية الهجوم. وبعد الظهيرة قامت القوات الإسرائيلية بالهجوم بلواءين مدرعين على الفرقة الثانية مشاة في اتجاه الفردان، بينما هاجم لواء مدرع ثالث الفرقة ١٦ مشاة في اتجاه الإسماعيلية، وتصدَّت الفرق المصرية للهجمات بنجاح[٥٠].

كما شهدت بورسعيد في ذلك اليوم أشدَّ المعارك بين قوات الدفاع الجوي المصرية والقوات الجوية الإسرائيلية، حيث بلغ عدد الطائرات الإسرائيلية المهاجمة لبورسعيد في بعض الطلعات أكثر من ٥٠ طائرة، ونجحت قوات الدفاع الجوي المصرية في إيقاع الكثير من الخسائر بتلك الطائرات، وتشتيت الهجمة الجوية الإسرائيلية على بورسعيد[٥١]،[٥٢].

شكل

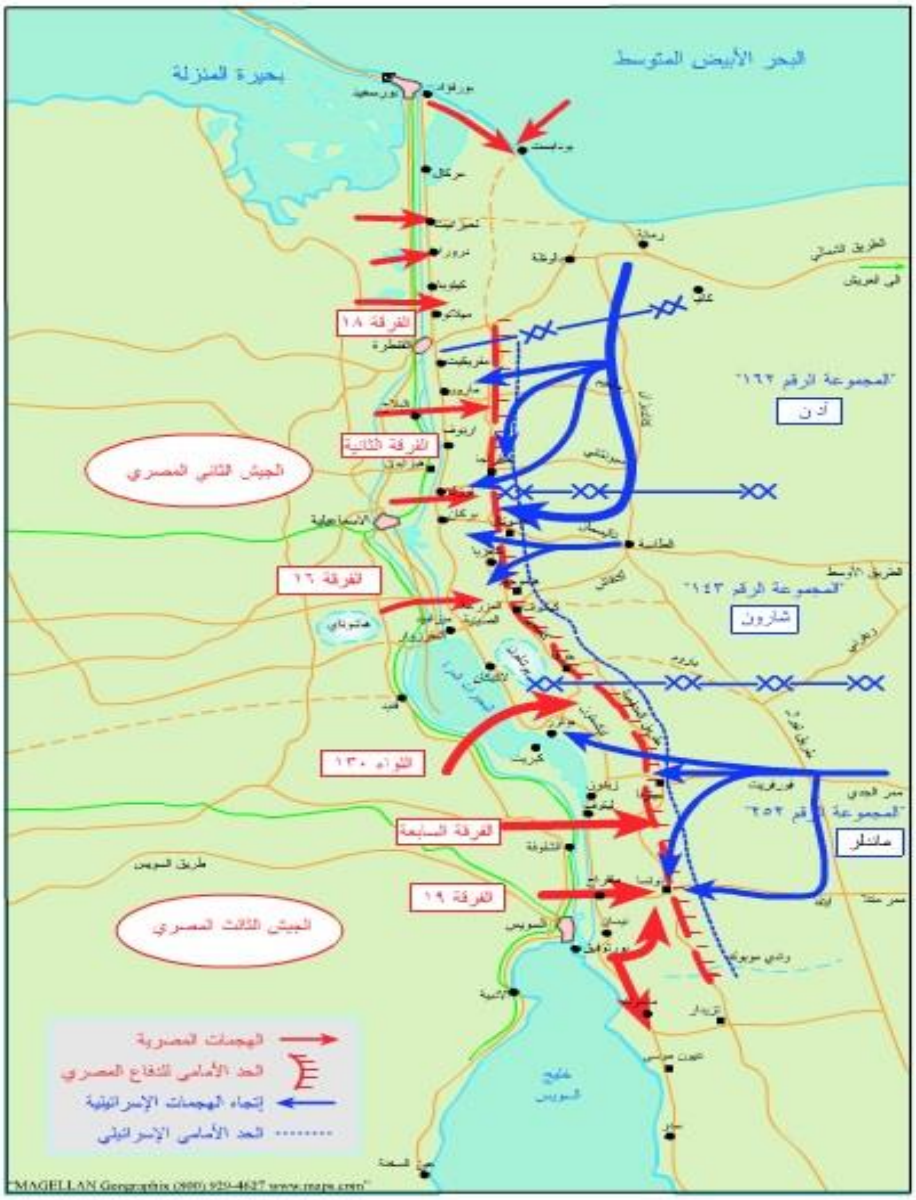

الهجوم الإسرائيلي على رؤوس الكباري المصرية في ٧، ٨ أكتوبر

خريطة (١): تطوُّر القتال على الجبهة المصرية في يومي ٧ و٨ أكتوبر ١٩٧٣[٥٣]

وقائع القتال على الجبهة السورية خلال الأيام الثلاثة الأولى

يوم ٦ أكتوبر

في التوقيت نفسه (الساعة الثانية بعد الظهر يوم ٦ أكتوبر)، وحسب الاتفاق المسبق مع القيادة المصرية، قام الجيش السوري بهجوم شامل تحت ستار المدفعية الثقيلة في هضبة الجولان، مركِّزًا على نقطتين شمال وجنوب القنيطرة، وشنت الطائرات السورية (ست وسبعون طائرة) هجومًا كبيرًا على المواقع والتحصينات الإسرائيلية في عمق الجولان، وهاجمت التجمعات العسكرية والدبابات ومرابض المدفعية الإسرائيلية ومحطات الرادارات وخطوط الإمداد[٥٤].

وتمثَّلَتْ مَحَاوِر الهجوم السوري فيما يلي:

- الفرقة السابعة مشاة في اتجاه جنوب غرب إلى منطقة الأحمدية (القطاع الشمالي).
- الفرقة التاسعة الآلية في اتجاه جسر بنات يعقوب (القطاع الأوسط).
- الفرقة الخامسة الآلية في اتجاه بحيرة طبرية (القطاع الجنوبي)[٥٥].

وحقَّق الجيش السوري نجاحًا كبيرًا طبقًا للخطة المُعَدَّة، بحيث انكشفت أرض المعركة أمام القوات والدبابات السورية التي قطعت مسافاتٍ كبيرة في اليوم الأول من الحرب، مما أربك وشتَّت الجيش الإسرائيلي الذي كان يتلقَّى الضربات في كل مكان من الجولان، واستطاعت القوات السورية اختراق الخطوط الإسرائيلية في الحسنية جنوب القنيطرة، وبدأت تتقدَّم نحو الطرق التي تربط مرتفعات الجولان بسهل الجليل، ووصل مجموع الدبابات السورية في موجة للهجوم إلى ٥٠٠ دبابة، ووصل مجموع القوات السورية على الجبهة إلى ٣٥٠ طائرة، ١٧٠٠ دبابة، ١٣٠٠ بطارية مدفع، ٤٥ ألف جندي[٥٦].

كما استولت قوات خاصة سورية محمولة جوًّا على نقطة جبل الشيخ الحصينة التي ترتفع عن سطح البحر ٢٠٠٠ متر، وتشرف على قطاع كبير

من الجبهة، وقامت على الفور بتدمير وفك معدات الرادار الإسرائيلية ونقلها إلى العاصمة، وقتلتْ وأسرتْ جميع من كان في الموقع من القوات الإسرائيلية(٥٧).

ويلاحَظ أن القيادة العسكرية السورية قامت بتغيير خطة الهجوم الجوي السوري في بداية الحرب بدون التنسيق مع القيادة المصرية، ففجأة تمَّ إلغاء ضرب المطارات الإسرائيلية المكتظة بالطائرات بدون سبب واضح، وبدون إعلام مصر بتغيُّر الخطة، وهو قرار يبدو للوهلة الأولى غريبًا، فالطبيعي عند بدء القتال أن يحاول الجانب السوري تعطيل الطيران الإسرائيلي المتفوق كمًّا ونوعًا أكبر وقت ممكن، عَبْرَ ضرب ممرات الطيران بالمطارات لإفساح المجال للطيران السوري بالعمل بحُرِّيَّة في سماء المعركة، وهو ما يُطلق عليه (اكتساب سيادة محلية علي سماء المعركة) مؤقتًا، واستمر هذا الوضع بالطبع طوال الحرب، فلم يهاجم الطيران السوري المطارات الإسرائيلية(٥٨).

بل والأشد عجبًا أن الطيران السوري – طِبْقًا لأهداف الضربة الجوية كما نشرها موقع الجيش السوري لاحقًا – لم يجعل من بين أهدافه القيام بقصف الجسور علي نهر الأردن(٥٩)، تلك الجسور التي تنقل القوات المدرعة الإسرائيلية الاحتياطية من داخل إسرائيل إلى هضبة الجولان، وهو أمر بدهي كان يجب أن يتمَّ لضرورة تعطيل الاحتياطيات المُعَادِيَة للدخول في المعركة، وقد ذكر المؤرخ العسكري البريطاني المشهور إدجار أوبلانس أن خطة الهجوم السوري تغيرت في اللحظات الأخيرة؛ فلم تَعُدْ تتضمن ضربَ جسور نهر الأردن، مما أدهش المصريين(٦٠)، وكان ضرب تلك الجسور في أول ساعات الحرب هو مفتاح النصر الحقيقي لسوريا في الجولان؛ فضرب تلك الجسور يعني حرمان الاحتياطي المدرع الإسرائيلي من الدخول في المعركة، وكان يعني أن الأربعين دبابة الإسرائيلية الموجودة في الجولان كانت ستواجه أربعمائة وخمسين دبابة سورية في أول أيام القتال، وعلى العكس؛ ترك الطيران السوري الجسورَ كما هي، وترك الطيران الإسرائيلي عاملًا بشكل طبيعي جدًّا، واكتفى

بالدفاع الجوي عن سماء دمشق وسوريا[٦١].

ولا يمكن تفسير هذا إلا في ضوء ما ذهبنا إليه من أن الخطة السورية المُضْمَرَة كانت الحصول على الجولان خلال ساعات ثم طلب وقف إطلاق النار، وهذا يتطلب ألَّا تذهب سوريا بعيدًا عبر إثارة إسرائيل بضرب قواتها الجوية أو ضرب أهداف داخل الحدود الإسرائيلية؛ أملًا في أن يساهم هذا في تقبُّل إسرائيل لإيقافٍ سريع لإطلاق النار.

يوم ٧ أكتوبر

تمَّ اختراق الدفاعات الإسرائيلية في القطاع الجنوبي أمام القوات السورية التي بدأت تتجه إلى نهر الأردن، وأخلت إسرائيل المدنيين الإسرائيليين الذين استوطنوا في الجولان حتى نهاية الحرب، فلجأت القيادة الإسرائيلية إلى سلاح طيرانها لقصف المدرعات السورية في عملية مستمرة دون توقف لتعطيل القوات السورية عن التقدم وتمكينها من توصيل الإمدادات إلى الجبهة، لكن القوات السورية تقدمت حتى حاصرت (نفاخ) التي كانت تبعد ٢٠ كم عن خطوط يوم ٦ أكتوبر، ومهددة بذلك بفتح الطريق – في حال سقوط نفاخ – نحو (جسر بنات يعقوب) وما وراءه من الجليل الأعلى داخل إسرائيل[٦٢].

يوم ٨ أكتوبر

استمرَّ الطيران الإسرائيلي في هجومه المركز على المدرعات والقوات السورية، مما أدَّى إلى تدمير عدد كبير من المدرعات السورية، وهو ما ساعد القوات البرية الإسرائيلية على صَدِّ الهجوم السوري، وابتداءً من اليوم الثالث للقتال شن الطيران الإسرائيلي هجماته في العمق السوري، فقصف أهدافًا عسكرية ومدنية على السواء في دمشق، فأغارت طائرات الفانتوم على مبنى وزارة الدفاع ومبنى قيادة القوات الجوية ومحطة الإذاعة ومحطة الكهرباء ومصفاة النفط في حمص، وخزانات النفط في طرطوس واللاذقية[٦٣].

وأمام التقدم السوري في القطاع الجنوبي، دفعت القيادة الإسرائيلية

بهجوم مضاد، وتقدمت القوات الإسرائيلية في منطقة "العال" متجهة شمالًا، حتى بلغت خط الجوخدار–الرفيد، وعلى المحور الأوسط تقدمت القوات الإسرائيلية حتى أوشكت أن تغلقَ الطرف الشمالي للكماشة المطبقة على الخشنية[٦٤]،[٦٥].

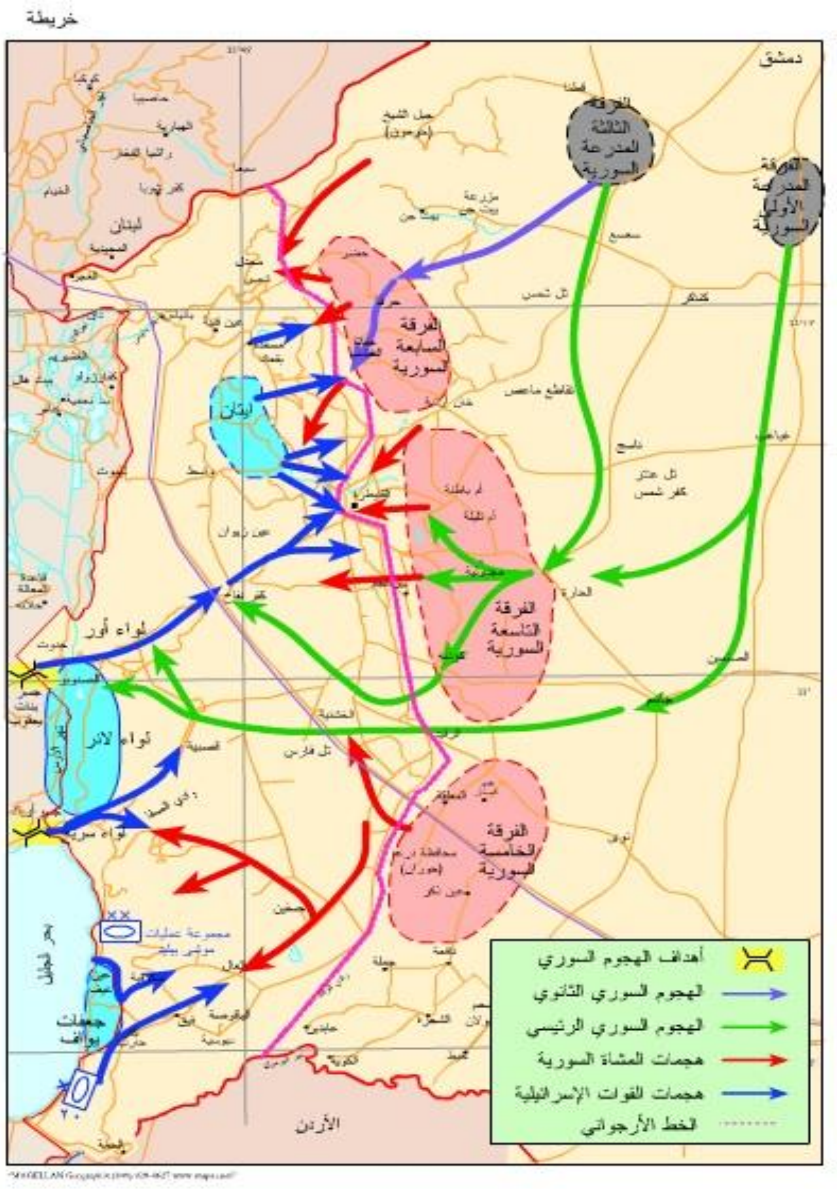

أقصى مدى للاختراق السوري، منتصف ليلة الأحد ٧ أكتوبر

خريطة (٢): تطوُّر القتال على الجبهة السورية في يومي ٦ و٧ أكتوبر ١٩٧٣[٦٦]

فشل الأجندات المُضْمَرَة للطرفين وأثره على تطوُّر القتال

رأينا كيف لم يستطع الرئيس الأسد تنفيذَ أجندته الخفية باقتناص الجولان عن طريق هجوم مباشر سريع مع تجنُّب ضرب العمق الإسرائيلي، ثم فرض وقف إطلاق نار سريع يجنِّبه ردة الفعل العسكرية الإسرائيلية، غير أن النجاح الكامل في اليومين الأولين على الجبهتين معًا جعل طلبَ وقف إطلاق النار من الجانب العربي أمرًا غير مستطاع سياسيًّا، فاضطر الأسد إلى إكمال المعركة غير المتكافئة مع إسرائيل، التي أعلنت الجبهةَ السورية كأولوية أولى، ومع الضغط الإسرائيلي بدأت الجبهة السورية تتداعى، مما جعل الرئيس الأسد يمارس ضغوطًا متزايدة على حليفه السادات، الذي كان قد قرَّر في البداية الالتزامَ بخطة الشاذلي بالوقوف على حدود حماية حائط الصواريخ، وذهبت دمشق في ضغوطها إلى حدِّ إرسال أحد كبار ضباطها من أركان القيادة للضغط على مصر للتحرك[٦٧]، كما استخدم الأسدُ الدولَ العربية الصديقة، وكذلك الاتحاد السوفييتي في الضغط على مصر لتطوير الهجوم[٦٨]، وهو ما تمَّ بالفعل متأخرًا يوم ١٤ أكتوبر، وكانت إسرائيل مستعدة له تمامًا، فتكبدت القوات المصرية خسائر فادحة، كما تسبب الدفع بقوات الاحتياط من غرب القناة إلى شرقها في خَلْخَلَة الدفاعات غرب القناة، مما ساهم في عدم القدرة على القضاء على الثغرة التي بدأت في يوم ١٦ أكتوبر، وتوسعت لاحقًا لتحيط بالجيش الثالث ومدينة السويس.

وهكذا تسبَّب فشلُ الرئيس السادات في تنفيذ أجندته الخفية في تحرُّج وضع القوات المصرية في الحرب، وقَلَّلَ من رونق الانتصار العظيم الذي تحقَّق، كذلك فإن فشل الرئيس الأسد المماثل في تنفيذ أجندته تسبَّب ليس فقط في ضياع معظم مكاسب اليومين الأوَّلَيْن، بل تقدمت القوات الإسرائيلية في اتجاه دمشق، مُحْدِثَةً ما سُمِّيَ بجيب (سعسع)، ولولا تدفُّق قوات عراقية وأردنية نجحت في تثبيت الثغرة ومنع تقدُّم القوات الإسرائيلية شمالًا لاكتملت الكارثة العسكرية.

واستمرَّ عدم التنسيق ديدن العلاقة بين الجبهتين طوال فترة الحرب؛ فعدما أعلن الرئيس السادات في خطابه الشهير أمام مجلس الشعب يوم ١٦ أكتوبر عن مبادرة لوقف إطلاق النار مقابل انسحاب إسرائيلي شامل من الأراضي التي تم احتلالها عام ١٩٦٧، ورغم أن هذه المبادرة تطرح أمرًا بدهيًّا، فإن السادات كان يجب أن يُخْطِرَ شريكَه في الحرب بها، وهو ما لم يتمَّ، مما عرَّض السادات لعتاب جديد من الأسد، ثم عندما تحرَّج الموقف على الجبهة المصرية ليلة ٢٢ أكتوبر أرسل السادات للأسد يبلغه أنه لا يستطيع إكمال الحرب بهذه الطريقة في مواجهة الولايات المتحدة وليس إسرائيل، وأنه سيوافق على وقف إطلاق النار، ورد عليه الرئيس الأسد ليشدَّ من أزرِه ويطالبه بإكمال المعركة، لكن الرئيس السادات لم يردَّ على الرسالة، وأكمل مسعاه نحو تحقيق وقف إطلاق النار، وتَبِعَتْهُ سوريا في اليوم التالي[٦٩].

الخاتمة

لا شك في أن اشتراك القوات المصرية والسورية في حرب أكتوبر سطر صفحاتٍ من الفخار في تاريخ البلدين، وكان علامة بارزة في تاريخ كلٍّ من القيادتين المصرية والسورية، حيث يُحسب لهما شجاعة القرار، والقدرة على التنسيق المشترك في اتخاذه، والقدرة على إخفاء هذا التنسيق المشترك عن العيون الإسرائيلية والأمريكية، والقدرة على الالتزام بهذا التنفيذ في موعده المحدَّد بدقة، مما حقَّق مفاجأة استراتيجية كاملة للجانب الإسرائيلي، وحقَّق تشتيتَ قواه بشكل جزئي.

على أنه مما عاب هذا التنسيق المشترك أنه اقتصر – إلى حد كبير – على استخدام بدء العمليات المتزامن في إلزام إسرائيل بالعمل على جبهتين، دون أن يتعدى هذا إلى مرحلة أكبر طموحًا وهي التنسيق الحقيقي في مراحل الحرب المختلفة؛ فقد كان يمكن – على سبيل المثال – تحريك عدة أسراب من القوات الجوية المصرية قبل الحرب للعمل على الجبهة السورية لتُستخدم في

ضرب المطارات الإسرائيلية وتدمير قطاع من القوات الجوية الإسرائيلية أو تعطيله تحت عامل المفاجأة كما فعلت في سيناء في الضربة الجوية الأولى هناك، كذلك كان يمكن استهداف مصافي وخزانات النفط في حيفا وغيرها، لكن القيادة السورية – ولعله قرار مشترك بين القيادتين – آثَرَتْ في المرحلة الأولى من الحرب استخدامَ القوات الجوية في ضرب المواقع الإسرائيلية في الجولان فقط، دون أن تتعداها إلى العمق الإسرائيلي.

على أن أكثر ما عاب التنسيق المشترك بين القيادتين هو ما تبيَّن من وجود أجندة (قُطْرِيَّة) لكل طرف تتناسب مع ظروفه وأهدافه من الحرب أخفاها عن الطرف الآخر، حيث بيتت القيادة المصرية الوصول إلى عمق حائط الصواريخ المصري والتوقف عنده، وهو ما كان مقدَّرًا له تحقيقه في اليوم الرابع والخامس للقتال، بينما بيتت القيادة السورية طلبَ وقف إطلاق النار – عن طريق حليفها الاتحاد السوفييتي – بعد يوم واحد من المعارك، تكون قد حققت فيه كُلَّ أو جُلَّ أهدافها، بحيث تتجنب فيه معظم ردة الفعل الإسرائيلية.

ولا شك في أن هذا الجانب من القيادتين – رغم عدم غرابته في عالم السياسة البراجماتي – يتعارض مع الأسس الخُلُقِيَّة للتحالفات[٧٠]، وقد أضر بكلٍّ منهما، إذ لم يجرؤ أي طرف منهما في النهاية على تنفيذ (أجندته) الخفية؛ فلا القيادة السورية استطاعت أن تواجه شريكها والعرب من ورائه بطلب وقف إطلاق النار، وسرعان ما تبرأت منه، واستمرت في الحرب خارج النطاق الخفي الذي ألزمت به نفسها منذ البداية، وهو ما لم تكن مستعدة له، مما أفقدها معظم الجولان وأكثر، وعرَّض دمشق للخطر، ولا السادات استطاع أن يصمد في قراره بالتوقف عند حدود حائط الصواريخ، فقرر تطوير الهجوم بعد فوات الأوان وبعد أن تكاملت الاستعدادات الإسرائيلية، فتكبدت مصر خسائر فادحة، لذلك عَقَّبَ الأستاذ أمين هويدي على تلك الملابسات بأَسًى قائلًا: "كان الرئيسان الأسد والسادات يلعبان على بعضهما البعض ولا يلعبان مع بعضهما البعض، علمًا بأنهما دخلا الحرب معًا ليقاتلا معركة المصير

على جبهتين متناسقتين لتحقيق غرض واحد"[٧١]، فلا شك أن خداع الشريك لشريكه – في أي شراكة – هو من قبيل المكر السيئ، "وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ" (سورة فاطر: الآية ٤٣).

ولعل الدرس البليغ هنا للقادة المُقْدِمِينَ على عمل قومي مشترك هو ألَّا تكون لهم أجندة خفية عن الحليف الذي يخوض معهم معركة المصير، فإذا كان لأي شريك خصوصية أو هدف قُطْرِيٍّ يحرص عليه فلا بُدَّ من أن يوضع على طاولة البحث بكل شفافية؛ للوصول إلى حلول مناسبة للطرفين، وقاد كان هذا ممكنًا في هذه الحالة موضوع البحث، ولو وضع كلٌّ منهما هدفه أمام الآخر بكل صراحة، ولأمكن إذًا إيجاد عدة سيناريوهات تناسب الرغبة السورية في إنهاء المعارك في الجولان خلال يومين، وتناسب الرغبة المصرية في الالتزام بحدود حائط الصواريخ:

١- كان يمكن حشد القوات الجوية السورية ومعها أسراب من القوات الجوية العراقية والجزائرية والمصرية تنطلق جميعها من المطارات السورية لتضرب جميع المطارات الإسرائيلية وتوجِّه ضربة حاسمة ضد سلاح الجو الإسرائيلي بتدمير ما يمكن تدميره من الطائرات وإتلاف ما يمكن إتلافه من ممرات المطارات، وكذلك ضرب الأهداف المهمة ذات الصلة في العمق الإسرائيلي مثل مصافي وخزانات النفط، وقد كان هذا في التخطيط المسبق للحرب على جبهتين؛ إذ نص التقرير المشار إليه سابقًا – الذي قدَّمه الفريق أول أحمد إسماعيل لمجلس الدفاع المشترك للجامعة العربية – على (استخدام الجبهة السورية والأردنية لتهديد قلب العدو بقواتنا، خاصة القوات الجوية)[٧٢].

وبالنظر إلى الهلع الكبير الذي أصاب القيادة السياسية والعسكرية الإسرائيلية في بداية حرب أكتوبر دون تحقُّق هذه الضربة، فيمكننا تصور هلع مُضَاعَف أضعافًا كثيرة إذا تمت هذه الضربة ولو بنجاح جزئي، وكان من المحتمل جدًّا أن يؤدي هذا الهلع – المرتبط بتحييد سلاح إسرائيل

الأهم – بالإسرائيليين لقبول انسحابات كبيرة من سيناء والجولان، كما اقترح موشى ديان في الأيام الأولى[٧٣]، وكان الذي ساعدهم على استعادة رباطة جأشهم هو الاطمئنان لسيطرتهم الجوية.

٢- في الحد الأدنى من التعاون المبني على الصراحة، كان يمكن لمصر وسوريا أن يتفقا على قبول الدعم السياسي السوفييتي لقبول وقف إطلاق النار على الجبهة السورية فقط، وطالما أن الفريق الشاذلي قد صرح بأنه من الأفضل لمصر أن تخوض الحرب منفردة على أن تخضها مع سوريا ثم تضطر لتطوير الهجوم خارج حائط الصواريخ[٧٤]، إذًا فما كان ليضير مصر لو قبلت إيقافَ القتال على الجبهة السورية بعد اليوم الثاني، وحسبها أنها شَتَّتَتْ القدرات الإسرائيلية في أول يومين من القتال، ثم تمضي في حربها منفردة ملتزمة بخطة (المآذن العالية) المُحْكَمَة استراتيجيًّا، والتي تقتضي الوصول لمدى حائط الصواريخ، ثم إطالة أمد الحرب عن طريق حرب استنزاف تُجبر إسرائيل على استمرار التعبئة، وهو ما لا تتحمله[٧٥].

لقد أوضَحَتْ نتائج القتال على الجبهتين خلال الأيام الثلاثة الأولى في الحرب أن القوات المصرية نجحت خلال تلك الأيام في تحقيق أهدافها، وقضت على نظرية الأمن الإسرائيلي، وأزالت خط بارليف، وأنشأت خمسة رءوس جسور قوية على الجانب الشرقي للقناة، وتصدَّت بنجاح للهجوم الإسرائيلي المضاد القوي يوم ٨ أكتوبر، فحققتْ نتائج تلك الأيام مفاجأة استراتيجية وعسكرية مهمة غيَّرت الوضع الذي كان قبل ٦ أكتوبر ١٩٧٣.

وعلى الجبهة الأخرى، حققت القوات السورية نتائج موازية كبيرة، ووصل المد العسكري السوري لمسافة ٢٠ كم بعد خطوط ٥ أكتوبر ١٩٧٣، مما هدد العمق الإسرائيلي تهديدًا مباشرًا، لذلك كان الهجوم الإسرائيلي المضاد المركَّز يوم ٨ أكتوبر بأقصى قدر متاح من قوة النيران البرية والجوية، ونجح الهجوم المضاد الإسرائيلي في رد القوات السورية إلى الخلف في معظم

القطاعات، وكَبَّدَهَا خسائر فادحة، خاصة في المدرعات التي وقعت تحت نيران الطيران الإسرائيلي الكثيف.

ومن هنا يتضح أن انكسار الهجوم السوري بدأ يوم ٨ أكتوبر، وبالتالي لم يكن سببه الوقفة التعبوية المصرية التي بدأت يوم ١٠ أكتوبر، وإنما كان سببه خطورة الجبهة السورية ومُلَاصَقَتها للعمق الإسرائيلي، وهو ما قدَّرته القيادة السورية منذ البداية حين رَتَّبَتْ مع الاتحاد السوفييتي طلبَ وقف إطلاق النار بعد يوم من بدء المعركة، بحيث يسري في اليوم التالي، فتكون مدة المعركة ٣٦ ساعة بحَدٍّ أقصى، وكانت دقيقة في تقديراتها، ولكنها لم تستطعْ تنفيذها؛ حيث يبدو أنها لم تستطعْ مواجهة تَبِعَاتِها السياسية، خاصة في ظل أجواء المزايدات السابقة التي كانت تمارسها وتعاني منها في الوقت ذاته.

الهوامش

(١) – دونالد نيف: عاصفة على السويس، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠١٥، ص ٥٦٦.

– سامي شرف: سنوات وأيام مع جمال عبد الناصر (ج٢)، المكتب المصري الحديث، الطبعة الثانية، القاهرة، ٢٠١٤، ص ٢٥٠.

– نسف ثلاث محطات لنقل البترول في سوريا، الجمهورية، ١٩٥٦/١١/٤.

(٢) د. لطيفة سالم: أزمة السويس، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٩٦، ص ٢٦٥.

(٣) موقع مجلة الوعي العربي: ذات يوم.. ضباط سوريون ينسفون خطوط البترول المؤدية إلى أوروبا تضامنًا مع مصر.
https://elw3yalarabi.org/elw3y/2019/08/06/%D8%B0%D8%A7%D8%AA-%D9%8A%D9%88%D9%85-%D8%B6%D8%A8%D8%A7%D8%B7-%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A%D9%88%D9%86-%D9%8A%D9%86%D8%B3%D9%81%D9%88%D9%86-%D8%AE%D8%B7%D9%88%D8%B7-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%AA%D8%B1%D9%88/; 22/10/2020.

(٤) الأهرام العربي: صوت الإعلامي السوري عبد الهادي بكار يصدح في دمشق بنداء (من دمشق هنا القاهرة)
https://www.youtube.com/watch?v=mW38mcJg1rw&feature=youtu.be; 24/10/2020.

(٥) للمزيد من المعلومات عن تجربة الوحدة المصرية السورية، يُنْظَرُ بتوسُّع إلى:

- إبراهيم محمد: مقدمات الوحدة المصرية السورية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨.
- مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، ندوة: أربعون عامًا على الوحدة المصرية السورية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٩٨.

– صلاح نصر: عبد الناصر وتجربة الوحدة، دار الوطن العربي، بيروت، ١٩٧٦.

(٦) – عبد الغني الجمسي: حرب أكتوبر ١٩٧٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٩٨، ص ٣٧.

– د. عبد العظيم رمضان: حرب أكتوبر في محكمة التاريخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥، ص ١٢.

(٧) أمين هويدي: أضواء على أسباب نكسة ١٩٦٧، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٥، ص ص ١٩ – ٢٢.

(٨) د. عبد العظيم رمضان: تحطيم الآلهة (ج١)، مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٨٨، ص ٣٩.

(٩) المرجع السابق، ص ص ٤٠ – ٤١.

(١٠) – محمد فوزي: حرب الثلاث سنوات، دار المستقبل العربي، الطبعة الخامسة، القاهرة ١٩٩٠، ص ص ٧١ – ٧٢.

– عبد الغني الجمسي: مصدر السابق، ص ٤٠.

(١١) – د. عبد العظيم رمضان: تحطيم الآلهة (ج١)، مرجع سابق، ص ص ١٨٠ – ١٨١.

– د. عبد العظيم رمضان: حرب أكتوبر في محكمة التاريخ، مرجع سابق، ص ١٩.

– أمين هويدي: الفرص الضائعة – القرارات الحاسمة في حَرْبَي الاستنزاف وأكتوبر، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٢، ص ٥٧.

(١٢) وقد ذكر الفريق مرتجي أن الطائرات السورية كان بإمكانها أن تهاجم الطائرات الإسرائيلية أثناء عودتها من الضربة الجوية ضد المطارات المصرية وقد قارب وقودها على النفاد فيسهل إسقاطها، أو أن تقوم بضربها وهي على الأرض أثناء مرحلة التزود بالوقود، وبالتالي عدم قدرة على الحركة قبل الإقلاع للموجة الثانية، لكن القيادة العسكرية السورية ردت بغرابة على الطلب المصري بأن سوريا فوجئت،

وأن الطائرات في مهام تدريبية، وليست مستعدة لشن هجوم، وتكرر الطلب وتكرَّر الرفضُ ثلاث مرات حتى ضاعت الفرصة.

(د. عبد العظيم رمضان: تحطيم الآلهة (ج١)، مرجع سابق، ص ١٧٦).

(١٣) المرجع السابق، ص ص ١٧٩ – ١٨٠.

(١٤) هيكل: المفاوضات السرية بين العرب والإسرائيليين (ج٣)، دار الشروق، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩٦، ص ١٨.

(١٥) د. عبد العظيم رمضان: حرب أكتوبر في محكمة التاريخ، مرجع سابق، ص ١٢.

(١٦) هيكل: لمحات من قصة المعركة الأخيرة (١)، الأهرام، ١٩٧٠/١٢/٤.

(١٧) هيكل: كلام في السياسة (ج١) – قضايا ورجال، المصرية للنشر العربي والدولي، الطبعة السابعة، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ص ٤١٠ – ٤١١.

(١٨) هيكل: رحلة إلى عصر جديد (٥)، الأهرام، ١٩٧٢/١٢/١٥.

(١٩) د. عبد العظيم رمضان: حرب أكتوبر في محكمة التاريخ، مرجع سابق، ص ٧٥.

(٢٠) المرجع السابق، ص ص ٧٤ – ٧٥.

(٢١) مجدي الجلاد: مشير النصر – مذكرات أحمد إسماعيل، دار نهضة مصر، الطبعة الثانية، القاهرة، ٢٠١٣، ص ١٩٠.

(٢٢) د. عبد العظيم رمضان: حرب أكتوبر في محكمة التاريخ، مرجع سابق، ص ص ٧٩ – ٨٠.

(٢٣) ڤلاديمير ڤينوجرادوف: مصر من ناصر إلى حرب أكتوبر، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، القاهرة ٢٠١٦، ص ص ٩٤ – ١١٥.

(٢٤) – جمال حماد: من سيناء إلى الجولان، مرجع سابق، ص ص ٢٢٦ – ٢٦٣.

– د. عبد العظيم رمضان: حرب أكتوبر في محكمة التاريخ، مرجع سابق، ص ص ٣٩ – ٤٦.

(٢٥) هيكل: كيسنجر وأنا... مجموعة أوراق، الأهرام، ١٩٧٢/١٢/٢٩.

(٢٦) د. عبد العظيم رمضان: حرب أكتوبر في محكمة التاريخ، مرجع سابق، ص ٧٣.

(٢٧) وللأسف فإن ما قدمته دول النطاق الثاني ظل محدودًا حتى بداية الحرب، ربما بسبب دواعي السرية التي منعت مصر وسوريا من التوسع في طلب استقدام قوات من تلك

الدول، بالإضافة للخلافات السياسية المصرية السورية في ذلك الوقت مع دول رئيسية منها، مثل العراق وليبيا والجزائر (المرجع السابق، ص ص ٧٣ – ٧٤).

(٢٨) المرجع سابق، ص ص ٩١ – ٩٢.

(٢٩) عبد الغني الجمسي: مصدر سابق، ص ص ٢٦٧ – ٢٧٠، ٢٨٨ – ٢٨٩.

(٣٠) – سعد الدين الشاذلي: مذكرات حرب أكتوبر، دار بحوث الشرق الأوسط الأمريكية، الطبعة الرابعة، سان فرانسيسكو، ٢٠٠٣، ص ٢٤٢.

– جمال حماد: من سيناء إلى الجولان، الزهراء للإعلام العربي، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٥٣٤.

– د. عبد العظيم رمضان: حرب أكتوبر في محكمة التاريخ، مرجع سابق، ص ص ٣٩ – ٤٦.

(٣١) عبد الغني الجمسي: مصدر سابق، ص ص ٢٤٠ – ٢٤٥.

(٣٢) أمين هويدي: الفرص الضائعة – القرارات الحاسمة في حربي الاستنزاف وأكتوبر، مرجع سابق، ص ص ٣٨٧ – ٣٨٩.

وضَرَبَ أمثلة على إمكانية إيجاد درجة أعلى من التنسيق بين الجبهتين، منها (كان بإمكان طائراتنا أن تضرب أهدافها في إسرائيل ثم تهبط في المطارات السورية القريبة للتزود بالوقود، وفي أثناء عودتها تضرب أهدافًا أخرى)، المرجع السابق، ص ٣٨١.

(٣٣) هيكل: كلام في السياسة (ج١) – قضايا ورجال، مصدر سابق، ص ص ٤١٢ – ٤١٣.

(٣٤) سعد الدين الشاذلي: مصدر سابق، ص ٥٨.

(٣٥) د. عبد العظيم رمضان: حرب أكتوبر في محكمة التاريخ، مرجع سابق، ص ٥٨.

(٣٦) المرجع السابق، ص ص ١١٢ – ١١٣.

(٣٧) توقَّع السوفييت أن تفقد القوات المصرية ثلث القوات المهاجمة في الهجمة الأولى، وألَّا تستطيع عبور الساتر الترابي أبدًا في اليوم الأول.

– ڤلاديمير ڤينوجرادوف: مصدر سابق، ص ٦٣.

(٣٨) أثبته هيكل في كتاب (الطريق إلى رمضان)، وإن حاوَل إيجاد مبررات له.

هيكل: الطريق إلى رمضان، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٥، ص ١٢١.

(٣٩) يرصد الجمسي أن برقية الرئيس السادات إلى الرئيس الأسد مستفسرًا عن الطلب الخطير الذي جاء به السفير السوفييتي كانت مساء يوم ٦ أكتوبر، ومع ذلك – ورغم خطورة الأمر على حد وصف الجمسي – فإنه يتعجب من وصول الرد السوري عصر اليوم التالي، أي بعد قرابة يوم كامل.

– عبد الغني الجمسي: مصدر سابق، ص ٣٣٦.

ولكن يزول العجب في إطار ما نطرحه من خطة الرئيس الأسد، والتي كانت تتضمن ترقُّب ما ستُسفر عنه التطورات على الجبهة المصرية، وأنه في حال نجاح الهجوم الإسرائيلي المضاد على الجبهة المصرية فربما يكون السادات أكثر ميلًا لقبول وقف إطلاق النار.

(٤٠) السادات: البحث عن الذات، المكتب المصري الحديث، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٧٩، ص ص ٢٦٤ – ٢٦٥.

(٤١) باتريك سيل: الأسد – الصراع على الشرق الأوسط، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨٨، ص ٣٥٣.

(٤٢) (خفايا الرواية السورية عن حرب تشرين ١٩٧٣ – مذكّرات العماد مصطفى طلاس)، التلفزيون العربي، ١٥/١٠/٢٠٢٠.

https://www.youtube.com/watch?v=UXYnqCNdZ6M; 25/10/2020.

(٤٣) سعد الدين الشاذلي: مصدر سابق، ص ٢٥٣.

(٤٤) المصدر السابق، ص ٢٥٣.

(٤٥) المصدر السابق، ص ص ٢٥٣ – ٢٥٨.

(٤٦) المصدر السابق، ص ٢٦٠.

(٤٧) المصدر السابق، ص ٢٦٠.

(٤٨) المصدر السابق، ص ٢٦٠.

(٤٩) المصدر السابق، ص ٢٦١.

(٥٠) – سعد الدين الشاذلي: مصدر سابق، ص ص ٢٦٢.

– عبد الغني الجمسي: مصدر سابق، ص ص ٣٥٤ – ٣٥٥.

(٥١) عبد الغني الجمسي: مصدر سابق، ص ص ٣٦١ – ٣٦٢.

(٥٢) للمزيد من المعلومات عن الأيام الثلاثة الأولى على الجبهة المصرية، يُنْظَرُ بتوسُّع إلى:

–جمال حماد: المعارك الحربية على الجبهة المصرية، دار الشروق، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ص ٨٥ – ٢١١.

– سعد الدين الشاذلي: مصدر سابق، ص ص ٢٥٠ – ٢٧١.

– عبد الغني الجمسي: مصدر سابق، ص ص ٣٠٢ – ٣٦٤.

– عبد المنعم واصل: الصراع العربي الإسرائيلي، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ص ١٦٩ – ٢٠٤.

(٥٣) الموسوعة العسكرية (مقاتل من الصحراء)، تحت إشراف فريق أول ركن خالد بن سلطان بن عبد العزيز.
http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Siasia2/Harb73-Isr/fig03.htm_cvt.htm; 23/10/2019.

(٥٤) شملت الضربة الجوية السورية الأولى تحديدًا الأهداف التالية: (ميرون – مرصد جبل الشيخ – مواقع العدو في حرش مسعدة – تل أبو الندى – تل الفرس – مقر قيادة كفر نفاخ) [نقلًا عن موقع وزارة الدفاع السورية].
http://www.mod.gov.sy/index.php?node=554&cat=876; 11/10/2020.

(٥٥) أمين هويدي: الفرص الضائعة – القرارات الحاسمة في حربي الاستنزاف وأكتوبر، مرجع سابق، ص ص ٣٩٥ – ٣٩٦.

(٥٦) الموسوعة العسكرية (مقاتل من الصحراء)، تحت إشراف فريق أول ركن خالد بن سلطان بن عبد العزيز.
http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Siasia2/Harb73-Isr/sec13.doc_cvt.htm; 23/10/2019.

(٥٧) المرجع السابق.

(٥٨) دور القوة الجوية السورية في حرب أكتوبر، موقع مجموعة ٧٣ مؤرخين،

http://group73historians.com/%D8%AD%D8%B1%D8%A8-%D8%A3%D9%83%D8%AA%D9%88%D8%A8%D8%B1/1148-%D8%AF%D9%88%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D9%82%D9%88%D9%89-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%88%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%AD%D8%B1%D8%A8-%D8%A3%D9%83%D8%AA%D9%88%D8%A8%D8%B1-73; 30/10/2020.

(٥٩) موقع وزارة الدفاع السورية، مصدر سابق.

(60) Edgar O'balance: *No Victor, No Vanquished: The Yom Kippur War*, Barrie & Jenkins, London 1979, p 128.

(٦١) دور القوة الجوية السورية في حرب أكتوبر، موقع مجموعة ٧٣ مؤرخين، مرجع سابق.

(٦٢) الموسوعة العسكرية (مقاتل من الصحراء)، تحت إشراف فريق أول ركن خالد بن سلطان بن عبد العزيز.

http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Siasia2/Harb73-Isr/sec13.doc_cvt.htm; 23/10/2020.

(٦٣) جمال حماد: المعارك العسكرية على الجبهة المصرية، مرجع سابق، ص ص ٢٢٣ – ٢٢٤.

(٦٤) – معارك الجبهة السورية، الهجوم المضاد الإسرائيلي، https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AD%D8%B1%D8%A8_%D8%A3%D9%83%D8%AA%D9%88%D8%A8%D8%B1#cite_note-%D8%AD%D9%85%D8%A7%D8%AF-14; 24/10/2019

– الموسوعة العسكرية (مقاتل من الصحراء)، مرجع سابق.

(٦٥) للمزيد من المعلومات عن الأيام الثلاثة الأولى على الجبهة السورية، يُنْظَرُ بتَوَسُّع إلى:

– أمين هويدي: الفرص الضائعة – القرارات الحاسمة في حربي الاستنزاف وأكتوبر، مرجع سابق، ص ص ٣٩١ – ٣٩٧.

- الموسوعة العسكرية (مقاتل من الصحراء)، مرجع سابق.
- محمد مرعي: معارك رمضان في سيناء والجولان، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٤، ص ص ١٣٦ – ١٤٣.
- Edgar O'balance: *op. cit.*, p p 125 – 157.

(٦٦) الموسوعة العسكرية (مقاتل من الصحراء)، تحت إشراف فريق أول ركن خالد بن سلطان بن عبد العزيز.
http://www.muqatel.com/openshare/Behoth/Siasia2/Harb73-Isr/map02.htm_cvt.htm; 23/10/2019.

(٦٧) أمين هويدي: الفرص الضائعة – القرارات الحاسمة في حربي الاستنزاف وأكتوبر، مرجع سابق، ص ٣٩٦.

(٦٨) ڤلاديمير ڤينوجرادوف: مصدر سابق، ص ص ٦٥ – ٦٧.

(٦٩) أمين هويدي: الفرص الضائعة – القرارات الحاسمة في حربي الاستنزاف وأكتوبر، مرجع سابق، ص ص ٣٩٩ – ٤٠٠.

(٧٠) صدق فيهم قول الحق (سبحانه وتعالى) في كتابه "وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ" سورة (ص): ٢٤.

(٧١) أمين هويدي: الفرص الضائعة – القرارات الحاسمة في حربي الاستنزاف وأكتوبر، مرجع سابق، ص ٣٩٩.

(٧٢) عبد الغني الجمسي: مصدر سابق، ص ٢٤١.

(٧٣) – عبد الغني الجمسي: مصدر سابق، ص ص ٣٦٧ – ٣٦٨.

- Edgar O'balance: *op. cit.*, p 125.

(٧٤) سعد الدين الشاذلي: مصدر سابق، ص ١٦.

(٧٥) المصدر السابق، ص ص ٦، ٧.